مفهوم الروح عند البوشمن وتصويرها في الفن الصخري وتشابهها مع المفهوم المصري القديم للروح

إعداد

د/ أسماء عبد العليم علي إبراهيم

مدرس التاريخ القديم معهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل- جامعة أسوان

الملخص.

البوشمن سكان جنوب أفريقيا خلال العصر الحجري المتأخر؛ يؤمنون بان الروح لا تفنى وتظل في تواصل دائم مع عالم البشر، وتتحكم في جوانب عديدة مثل سعادة الانسان وتعاسته، وقوته وضعفه، وتحظى بقداسة شديدة، ومفهوم الروح في الفكر العقائدي للبوشمن يقترب بشكل كبير من مفهوم الروح في الفكر العقائدي المصري القديم، وخاصة فيما يتعلق بتقسيم الانسان وتثليث مكوناته (الكا – البا – أخ)، في العقيدة المصرية، بينما في عقيدة البوشمن يقسم الانسان الى (الجسد) و(الروح (Gauwa//) والحياة (Toa/). أو(Xa) وكذلك الحساب بعد الموت، ويعتقد البوشمن أن الموت ليس نهاية الحياة، بل الانتقال من مستوى الوجود المادي إلى مستوى روحي متفوق، وتشابه تصوير الروح عند البوشمن مع تصوير المصري القديم لها، في شكل طائر البا Ba، غير ان الجسد لم يحظى باهتمام البوشمن على عكس المعتقد المصري، فانه يفنى ولا تعود له الروح مطلقا، وكان لهذا التشابه سببا في محاولات اقتراح الوسائل التي انتقل بها هذا التأثير المصري للبوشمن.

الكلمات المفتاحية

البوشمن – الروح – البا – الشامان – البانتو

Abstract

The Bushmen believe, that the soul does not perish and remains in constant contact with the human world, and controls many aspects such as human happiness and unhappiness, it`s enjoys extreme holiness, The concept of the soul for the Bushmen is very close to the concept of the soul in the Egyptian ideological thought, especially with regard to the division of Man and the triangulation of its components (ka – ba - Akh), in the Egyptian faith, while in the Bushman doctrine the human being is divided into body, soul (//Gauwa) and life (/Toa) Or (Xa), as well as the calculation after death, and that death is not the end of life but the transition from the level of physical existence to a higher spiritual level, and the depiction of the soul in the form of a ba Ba bird, but the body did not receive the attention of the Bushmen, unlike the Egyptian belief, it perishes and the soul does not return to it at all,

This similarity was the reason for attempts to propose the means by which this Egyptian influence was transmitted to the Bushmen.

key words

Bushmen - Spirit - ba – Shaman - Bantu

==========

مصطلحات الدراسة:

البوشمن: Bushman مجموعة عرقية تنتمى لسلالة الخوسيان، من أقدم السلالات البشرية التي سكنت أفريقيا، خلال العصور الحجرية، يعتمدون على الاقتصاد المعيشي من صيد وقنص، وجمع والالتقاط يتميز أفرادها بقصر القامة، والعيون الضيقة، والبشرة الأميل للصفرة، مما يعطيهم مظهرا أسيويا، ولفظ البوشمن مكون من مقطعين Bush بمعنى أحراش، وMan بمعنى رجل، وهو مصطلح أطلقه عليهم المستعمر الإنجليزي، وكان البوشمن ينتشرون من نطاق الغابات الاستوائية، حتى أقصى جنوب القارة، واضطروا للتراجع نحو الجنوب تحت ضغط الهجرات البانتوية، إلى أن انحصر وجودهم الأن في شكل جيوب صغيرة في جنوب قارة أفريقيا، يحيون حياتهم طبقا لمعايير العصر الحجري المتأخر.

/: ترميز صوتي لمقطع طقطقة Non-sibilant fricative (ضرب اللسان بثقف الحلق دون صفير)

الشامان: الطبيب الساحر، والمعالج الروحاني، شخصية محورية هامة في حياة البوشمن الدينية، والاجتماعية، ينتخب من قبل الطبيعة، ولديه قدرات خارقة – على حد زعمهم –منها القدرة على التنقل بين العالم الفيزيقي واللافيزيقي، ولفظة الشامان تعود الى لغة التونجوس، في سهول سيبيريا، أما البوشمن يستخدمون لفظ سانجوما Sangoma

/كاجين: /Kaggen المعبود الخالق الأعلى والأوحد حيث يؤمن البوشمن بالوحدانية، ورغم ان / كاجين له أسرة الا أن أفرادها لا يتمتعون بأية قداسة عدا " كوتى Coti" زوجته لكن بمرتبة أقل.

// **جواسى:** الأرواح

مقدمة

الروح مصطلح غامض الدلالة، توقف الفلاسفة عنده منذ قديم الزمان، في محاولة لإعطاء تفسيرات لها، حمل المصطلح طابعاً دينياً وفلسفياً وثقافياً يختلف تعريفه وتحديد ماهيته ما بين الأديان والفلسفات والثقافات المختلفة، ولكن هناك رأي سائد عبر كثير من الأديان والاعتقادات والثقافات البشرية على أن الإيمان بوجودها يجسد مفهوم المادة الأثيرية الأصلية الخاصة بالكائنات الحية. استناداً إلى بعض الديانات والفلسفات، فإن الروح مخلوقةً من جنسٍ لا نظير له في الوجود مع الاعتقاد بكونها الأساس للإدراك والوعي والشعور عند الإنسان.

أهمية الموضوع

مجتمع البوشمن قائم على المساواة الذي ليس له هياكل هرمية ، ولا ممتلكات ثقافة البوشمن مبنية على المشاركة والتخطيط المستقبلي والمعيشة المستدامة، تضمن طريقة حياتهم التماسك الاجتماعي وقمع تلك الأنا، ولهم عقائد دينية رصينة، متأثرة بشكل كبير بالظواهر الطبيعية من حولهم، وجعلت من أروح السلف ، جزءا هاما من الحياة الدنيا.

.أسباب اختيار الموضوع

يرجع سبب اختيار الموضوع إلى : إلى أهمية أروح السلف في تنظيم الحياة الاجتماعية للبوشمن، فضلا عن وجود تشابه شديد بين مفهوم الروح في الفكر العقائدي للبوشمن، ومفهوم الروح في الفكر العقائدي المصري القديم، سواء من ناحية الشكل أو المضمون ،مما يثير التساؤلات عن كيفية وصول التأثير المصري القديم، للبوشمن في أقصى جنوب القارة.

محددات البحث

١- المحدد الجغرافي

حضارة مصر القديمة ، حضارة العصر الحجرى المتأخر جنوب قارة أفريقيا.

٢- المحدد الزمنى

لا توجد دراسة كرونولوجية واضحة لمناظر الفن الصخرى للبوشمن، تحدد زمن تصوير الروح في الفن الصخرى بهيئة طائر البا Ba ، غير انه من الثابت أن هذا التصوير بدأ في مصر خلال عصر الدولة الحديثة، لكن المفهوم نفسه يمتد جذوره لفترة سحيقة في التاريخ المصرى القديم، فكان أول ذكر لها ورد في متون الأهرام.

منهج الدراسة

المنهج الوصفي التحليلي.

أهداف الدراسة.

١) عرض للمفهوم الروح في الفكر العقائدي للبوشمن.
٢) رصد أوجه التشابه والاختلاف بين مفهوم الروح في الفكر العقائدي المصر، ومفهوم الروح العقائدي للبوشمن.
٣) تحليل النظريات المفسرة بنقل التأثير العقائدي المصري القديم لأقصى جنوب قارة أفريقيا.

أقسام البحث .

أولا: مفهوم الروح في الفكر العقائدي للبوشمن.
ثانيا: تصوير الروح كطائر البا في النقوش والرسوم الصخرية للبوشمن.
ثالثا: أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم الروح في الفكر المصري وفكر البوشمن.

أولا: الروح في الفكر العقائدي للبوشمن

فيما يتعلق بمسألة الروح فان البوشمن يؤمنون بان الروح لا تفنى وتظل في تواصل دائم مع عالم البشر، وتتحكم في جوانب عديدة مثل سعادة الانسان وتعاسته، يتم تجنب المقابر بشكل عام، والمكان الذي مات فيه الشخص كذلك، فدائما ما تكون المقابر مهجورة من قبل البوشمن، ويكاد يكون من المسلم به أن الطعام والماء والامتعة التى توضع في القبر، أو في حفرة ملحقة به، أو المعلقة على الشجر – كعادة البوشمن–، يحتاجها المتوفى خلال رحلته فيما بعد الموت، وفى تفسير آخر لهذه العادة، هو أنه لا أحد يريد استخدام متعلقات الشخص المتوفى، وخاصة اذا كان هذا المتوفى يحبها عندما كان على قيد الحياة ([1]).

وتتخذ الروح في عقيدة البوشمن عدة أشكال:

١) يذكر المبشر بليلك، ان رواية شفوية من انجولا توضح أن الروح تظهر بهيئة الحيوانات، بالقرب من القبور، ان الروح كذلك تظهر بالقرب من الأماكن التي مات فيها الاشخاص، وخاصة إذا كانت هذه الأرواح لموتى رجال، يمكن للأطفال وحدهم رؤية هذه الأرواح، بسبب هذه الظاهرة، يتجنب البوشمن الإقامة أو الحياة بجوار المقابر، وإذا اضطر أحدهما ان يمر بها، عليه أن يرمي بحجر ويستعين ببعض التعاويذ السحرية التي تحمية من الأرواح، ونجد الاعتقاد بأنه عندما يموت أي شخص لدغة ثعبان، تأخذ روحه شكل ثعباناً، وهذا الثعبان هو المنشود في طقس اسقاط المطر([2]).

---

1) Hollman, J. C.: 2007, "The Sky's Things", |xam Bushman 'Astrological Mythology' as recorded in the Bleek and Lloyd Manuscripts, African Sky, VOL. 11, p.8

[2]) طقس المطر: طقس دينى للاستسقاء خلال فترات الجفاف، يتم خلاله التضحية بحيوان يحدده الشامان، خلال طقس الحال أو من خلال رؤية يراها، وتكون حدة المطر طبقا لنوع الحيوان فالتضحية بثور تعنى اسقاط امطار خفيفة، التضحية بثعبان ضخم تعنى اسقاط أمطار رعدية غزيرة

Bleek, W. H. I. & Lloyd , C. C.: 1911, Specimens of Bushmen folklore. London: George Allen, P.5., Also, Challis, S., Hollmann, J. & McGranaghan, M.: 2013, ‘Rain snakes’ from the Senqu River: new light on Qing’s commentary on San rock art from Sehonghong, Lesotho, Azania: Archaeological Research in Africa, 1-24

والجدير بالذكر، انه لا يوجد للبوشمن نظام دفن محدد، فانهم يدفنون موتاهم أينما حل الموت، ولا توجد طقوس مرتبطة به، ولا اتجاه ولا وضعية محدد في دفنه ([1])

فعندما سأل جوزيف أوربن Joseph Orpen([2]) – خلال رحلته لجنوب افريقيا عام ١٨٧٣– مرشده من البوشمن كونج Kung ماذا يمثل الأشخاص الثلاثة ذوى رؤوس الظباءantelope في اللوحة الصخرية ، (شكل ١)أجاب كونج أنهم "أرواح الرجال الذين لقوا حتفهم والآن يعيشون في الأنهار" ([3])، هذه الشخصيات التي برأس الحيوان وغيرهم من الشخصيات غير الدنيوية هي تصوير عقائدي للبوشمن لهذه الارواح لتمييزهم عن أناس العالم الحقيقي الذين كانوا يصورون دائما عاريا([4])

1) Hollman, J. C.: 2007, OP.CIT, P.11

[2]) **جوزيف ميلرد أوربن** (٥ نوفمبر ١٨٢٨ - ١٧ ديسمبر ١٩٢٣) كان مديرًا استعماريًا بريطانيا في جنوب إفريقيا، بالإضافة إلى ذلك، كان عالمًا في علم الأنثروبولوجيا، كما قام بإجراء العديد من الدراسات الهامة الخاصة بالبوشمن وتحديدًا الفن الصخرى ، في عام ١٨٧٣ صادف رجل من سان واسمه كونج Kung، هو الناجي الوحيد المتبقي من أمته، الذي دمرته الحرب مع الباسوتو، الذي قاده عبر الجبال إلى كهوف قديمة غنية برسومات الصخرية شرح له أهمية ومعاني الأعمال الفنية المختلفة في فكر البوشمن، وتعد روايات كونج التي دونها اوربن مصدرا هاما لتفسير العديد من جوانب الفن الصخرى للبوشمن.

3) McGranaghan, M., Challis S. & Lewis-Williams, D.J.: 2013, Joseph Millerd Orpen's 'A Glimpse into the Mythology of the Maluti Bushmen': a contextual introduction and republished text, Southern African Humanities, Vol. 25, PP. 137–66

[4]) وقد فسرها بعض الباحثون بأنهم مجموعة من الشامانات نفذوا اللوحة بعدما عادوا من " الغيبوبة" بعدما غادرت أرواحهم اجسامهم إلى عالم الروح وعندما عادوا رسموا تجاربهم على الصخور للآخرين لرؤية ما كانوا قد شاهدوه. ومع ذلك، لا يستطيع هؤلاء الباحثون تحديد صور العالم الاروح، إذا كنت تعرف ما قاله كونج أن هذه الشخصيات التي برأس حيوان (therianthropes) هي شخصيات روحية للعالم أنها تفتح عالما كاملا من التصورات اللافيزيقية الروحية، على الأقل جزء كبير من الصور المرسومة على الصخور هي من عالم الروح، فى معتقدات السكان الاصليين لجنوب افريقيا. للمزيد تصوير الشامان راجع، أسماء عبدالعليم على إبراهيم: ٢٠٢٢، الشامان في النقوش والرسوم الصخرية.

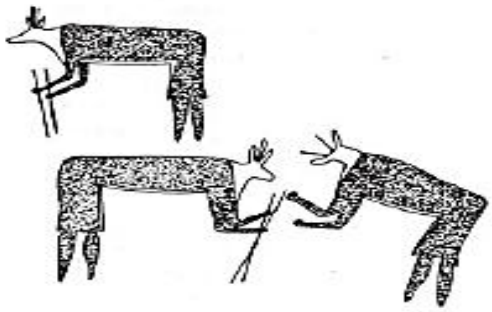

شكل (١): منظر صخري لثلاثة كيانات أنصاف آدمية، فسرت على كونها أرواح،
ناتال المصدر: Williams, L.D.: 1980, P. 474

٢. الجسد يفنى والروح فقط تذهب الى عالم الارواح.

هناك اعتقاد أخر، أنه عندما يموت أي شخص، تقوم روحه برحلة لفترة طويلة، وتنضم إلى أرواح آبائه في مكان مجهول، ويوصف هذا المكان بأنه دافئ ومريح، ستعيش الروح هناك بنفس الطريقة التي كانت تعيش بها على الأرض، بعض البوشمن من جنوب غرب كيب تاون، تحدد مكان الأرواح هذا على طول ضفاف نهر الأورانج، وان قطع الاصبع الصغير لقدم المتوفى، يسهم في تقوية الدم، بما يسهل عليه هذه الرحلة، غير ان هذه العادة انقرضت الان (١).

وعند فطام الأطفال يفقدون جزءًا كبيرًا من طاقتهم الروحية، بما يستوجب تقديم قرابين لروح الأجداد، والا سوف يعانون الكثير من الشدائد، والمصائب في حياتهم، وعند موتهم لن يكونوا مرحب بهم في عالم الأرواح، ووصفوا في الروايات الشفوية انهم "يمشون" هناك على رؤوسهم، ولن يتم استقبالهم بشكل جيد وسيقدم لهم الذباب فقط كغذاء (٢).

---

[1]) Williams, L.D.: 1980, Ethnography and Iconography: Aspects of Southern San Thought and Art, Man, P. 474

2) Heinz, H.J.: 1975, Elements of !ko Bushmen Religious Beliefs , Anthropos, VOl.70, NO.2, P. 23, pp. 17-41

٣. الروح تعيش في شكل آخر، بينما الجسد يذهب في رحلة.

يميز بعض البوشمن تمييزًا واضحًا بين الروح والجسد ككيانين منفصلين، في هذه الحالة يتحدثون عن "الذات" أي الجسد، و "الذات الأخرى " أي الروح، وان "الذات الأخرى" عند الموت تستمر في العيش في المكان الذي مات فيه الشخص، أو بالقرب من قبره، بينما تنتقل "الذات" أو الجسد إلى مسكن آخر (١).

٤. حياة //جواسي Gauwasi//(٢)

تعد هذه النظرية عن الروح الأكثر تعقيدا في حياة البوشمن، والأكثر تفصيلا لتعريف الروح والجسد لديهم، وهى الأقرب للفكر العقائدي المصري القديم، حول الروح، في تصنيف مكونات الانسان، حيث يعتقد أن هناك ثلاثة أجزاء يمكن تمييزها في الإنسان:

١) الجسد
٢) الروح (Gauwa//)
٣) والحياة (Toa/). أو Xa

عندما يموت الجسد، كذلك الحياة، التي تسكن فيه، وجميع أجزاء الجسم الحيوية، كالدم والقلب والرئتين والحلق، والفم والرأس، فإن الروح يستمر في العيش، يتم سحبها من رأس الشخص الميت بواسطة الأرواح الأخرى التي تسكن الحياة الأبدية التي تعرف باسم (Gauwasi//) (أرواح الموتى السابقون) (٣)ويؤخذ إلى الغرب بدمه وقلبه إلى إله العالم السفلي، في الغرب تظل الروح لفترة قصيرة، ثم

---

1) Jansen, C. G.: 1966, Some observations about ritual m mutilation in a Transkei mission hospital, with special reference to the ingqith l custom, African Studies, VOL. 25, NO.2, pp. 73-79.

٢) الشرطان المائلتان (//) تمثلان مقطع صوتى لطقطقة تسبق الاسم، ناتج عن ضرب اللسان بسقف الحلق، وضم الشفاه

٣) يوجد مسمى أخر للروح (بجانب مسمى Gauwasi//) عند مجموعة Ko من البوشمن وهو aai () وهو محلى الاستخدام، ويشار أحيانا على انها روح وسيطة بين البشر والخالق. وينطقون لفظ Gauwasi//، بوضع الطقطقة في منتصف الكلمة بعد مقطع Ga//wa

يرسلهم الى مكان ابعد فى الشرق حيث يعيش الإله الأعلى ([1]) ، يأخذ روح ودم وقلب الميت ويحولها إلى //جواسي الذين يسكنون معه في بيته، ويتم تشكيل //جواسي، من روح ودم وقلب الموتى، في هيئة تماثل تماما هيئهم على الأرض، باستثناء الشعر وهو أيضًا أسود ولكنه طويل ([2])، تأكل الأرواح نفس طعام البشر، ولها أيضا طعاما خاص ([3]).

تأتي هذه الأرواح على شكل طيور صغيرة تخرج من شقوق الجبال لتأكل اللحوم التي يعلقها الصيادين على أغصان الأشجار كقربان لها، ولهذه الارواح أدواتهم الخاصة من الأسلحة والدروع، ويمنح //كاجين (*kageen*//) حياة //جواسي الأبدية، والجدير بالذكر ان //جواسي يتقدمون في السن لكن //كاجين يعطيهم دواء معين من وقت لآخر يجدد الحياة، يعيش //جواسي أيضًا كرجل وزوجة، لكنهم لا ينجبون أطفالاً، عندما يبغض زوجته ويرغب في أخرى، فإنه يمكن أن يختار امرأة آخري لتموت، عادة ما تكون وفاة الشابة الجذابة ينسب إلى //جواسي ، وبالمثل قد يُقتل صياد قوي من قبل أنثى //جواسي ([4]).

وطبيعة حياة أرواح //جواسي في العالم الاخر، تحددها سلوك الشخص حال حياته، فاذا كان خيرا فيحيى بعد موته في خير، واذا كان يسعى في الأرض فسادا، فانه لا يغادر العالم السفلى أبدا، الا في حالة انتحار الشخص، فان روحه لا تغادر العالم السفلى، حتى لو كان شخصا جيدًا في حياته، وتمكث هذه الأرواح الخبيثة، وأرواح المنتحرين في العالم السفلى كخدم ويطلق عليهم نايا نايا ء زو The

[1]) يؤمن البوشمن بكيان الهى واحد أغلب قبائل البوشمن تطلق عليه لقب Kaggen // وهو – كما يظهر من الاساطير-الإله الخالق، المحتال و أحمق أحيانا أو حكيمًا، أو متعبًا أو مفيدًا أحايين آخري، يمكن ترجمة كلمة "Kaggen //" إلى "فرس النبي"، هو أحد من مظاهره. فكان بإمكانه ان يتحول الى العلند Elnad (ظبى البوشمن المقدس) أو أرنب أو ثعبان أو نسر، يمكنه أن يتخذ أشكالاً عديدة. عندما لا يكون في أحد أشكال الحيوانات الخاصة به، يعيش Kaggen // حياته كرجل شجاع عادي، يصطاد ويقاتل. كما يؤمنون بوجود اله في مستوى أدنى من //كاجين وهو اله العالم السفلي.

[2]) شعر البوشمن خشن، في هيئة جذور متفرقة

3) Marshall, L.: 1962, Kung Bushmen religious beliefs, Africa, Vol. 32, pp. 241—244.

[4]) Ibid, P.244

Nyae Nyae !Xu وهى مخلوقات أقل شأنا من Gauwasi// ([1]) فيمكن القول بان Gauwasi// هي الأرواح الصالحة بينما نايا نايا ء زو The Nyae Nyae !Xu هي الأرواح الخبيثة ([2]).

ومن مهام Gauwasi// قبض الأرواح بناء على تعليمات الاله الأعلى، وهم رسل لأهل الارض، والمتسببون في الاحلام، ويمكن لهم مع نايا نايا ء زو The Nyae Nyae !Xu، التأثير في حياة الاحياء، كالمرض، ووفرة الصيد من عدمه، والحظ العاثر أو الحظ الجيد، وهو ما يتطلب تدخل الشامان ([3]).

و هذا التمييز الثلاثي للإنسان موجود في منطقة إيتوشا بانز Etosha Pans وأوفامبولاند Ovamboland في جنوب غرب إفريقيا. وهناك تميز ثلاثى للانسان أيضا غير ان هنا الجسد هو الجزء الذي يهلك، بينما الحياة (Toa/) تذهب إلى "بيت الله "والروح (Gauwa//) تبقى بالقرب من القبر ([4]).

بينما وفقًا رواية لمارشال([5])، تموت الحياة بالجسد والروح يذهب إلى الإله، وإنها تعيش هناك ولا تفعل أي شيء ولا تأكل شيئا، بعد أيام من موت الشخص يظهر ظل بالقرب من قبر الميت يصطاد ويأكل ويشرب مثل أي إنسان وعندما يتعب، يعود إلى القبر للراحة، هذا الظل محتمل أن يكون نظير الروح ([6])

ومن معتقدات البوشمن حول الروح انها لا تعود للجسد مطلقا، فالجسد اما يفنى، أو يتحول الى هيئة أخرى، ولا تستطيع ان تسكن الجسد الحى، وليس بإمكانها

---

[1]) Jansen, C. G.: 1966, P. 75

2) van der Westhuizen , P. J. W .S. : Life After Death " Amongst the Bushmen, (PP. 42-46) in https://journals.co.za › doi › pdf

3) Ibid, P. 44

4) Schapera, I.:1933, The Khoisan peoples o f South A frica. London: George Routledge & Sons
Ltd., p. 166.

[5]) مبشر انجليزى وعالم أحياء، بدأ عمله في أنجولا، جمع العديد من الروايات الشفوية للبوشمن.

6) Marshall, L.: 1962, OP.CIT, P. 242.

تناول الطعام بمفردها، فهى تتغذى على ما يجود به الاحياء لاسترضائها، أو تجنب غضبها، ولا تعتبر روح الشامان كالروح الأشخاص العاديين، حيث انها ذات طبيعة خاصة ولديها المقدرة على التنقل بين العوالم الفيزيقية واللافيزيقية بحرية ([1])

ثالثا : تصوير الروح كطائر البا في النقوش والرسوم الصخرية للبوشمن

اتفقت العديد من الروايات الشفوية، بجنوب قارة أفريقيا على ان اللوحات المنمنمة التي ترسم بجوار الشقوق الجبلية ما هي الا أرواح الاسلاف التي تسكن الجبال تخرج وتدخل من تلك الشقوق، وقد تم تصوير الروح بشكل طائر برأس آدمية ، منطلقة من هذه الشقوق، ولم يشذ عن هذا التصوير الا رواية كونج، الذى فسر منظر الثلاث أدميين برؤوس الظباء على كونهم أرواح أسلافه (شكل ١)، واردف قائلا " تسبح في الماء " ، غير ان هذا الوصف، واجه الكثير من النقد والانكار، حيث ان هذا التصوير يتفق مع نمط من أنماط تصوير الشامان وهو الرجل الظبى، مما دفع الكثرين من أمثال داوسون *T.A. Dowson* ، ولويز وليم ([2])، بأن كونج كان يقصد روح الشامان، في رحلته لجلب المطر ([3]).

ويتضح توافق تصوير الروح لدى البوشمن في شكل طائر، كفكرة تصوير الروح في العقيدة المصرية القديمة، المعروف باسم با Ba ، ويتميز تصوير الروح فى النقوش والرسوم الصخرية بجنوب قارة أفريقيا بالتالى:

---

1) Heinz, H.J.: 1975, OP.CIT, P. 23.

[2]) **جيمس ديفيد لويس ويليامز** مواليد ١٩٣٤: عالم آثار من جنوب إفريقيا اشتهر بأبحاثه حول الفن الصخري للبوشمن في جنوب إفريقيا ، ويتم اعتباره دراساته في هذا المجال بمثابة فك رموز حجر رشيد هو المؤسس والمدير السابق لمعهد أبحاث الفنون الصخرية ، سجل ٤٠٠٠ منظر صخرى في أطروحة الدكتوراه الخاصة ١٩٧٧ بعنوان *Believing and Seeing: Symbolic meanings in southern San rock paintings.* ، مؤسس مدرسة التفسير الديني للفن الصخرى في جنوب قارة أفريقيا. داوسون : عالم أثار انجليزى اجرى دراسات عديدة في الفن الصخرى بجنوب أفريقيا، رائد من رواد نظرية التفسير الدينى للفن الصخرى بجنوب قارة أفريقيا .

3) Lewis-Williams, J.D. & Dowson, T.A.: 1990. Through the veil: San rock paintings and the rock face. South African Archaeological Bulletin 45 :5-16.

١)حجم المنظر صغير للغاية يرى بالعين المجردة بصعوبة على الاغلب.
٢)أغلب تصوير الروح يتم بجوار شقوق الكهوف والمأوى الصخرية.
٣)صور طائر الروح في شكل جماعات، ولم يتم رصد تصوير فردى له.
٤)يصور طائر الروح في حالة طيران، ولم يتم تسجيل أي منظر لطائر الروح في حالة سكون.
٥)فسرت مناظر الدوائر المتداخلة على انها بوابات عبور لطائر الروح من العالم اللافيزيقى إلى العالم الفيزيقي (شكل ٢).

شكل ٢: شكل هندسى لدوائر متداخلة

المصدر:

وتصنف حركة طائر الروح إلى خمس وضعيات كالتالى:

م	الحركة	نموذج
١	**الانقضاض**	
٢	**الحائمة**	
٣	**الانطلاق**	
٤	**الرفرفة**	
٥	**الازدواج**	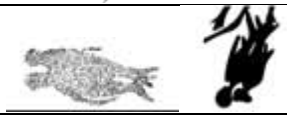

ومن أمثلة تصوير الروح بهيئة طائر البا Ba من منطقة الكيب تاونا (شكل ٣) لشق في الصخر على شكل حرف Y مقلوب في الطرف العلوى يظهر ثلاث من طائر البا في حالة انطلاق من الشق، بينا في الطرف السفلى يظهر اثنان من طائر الروح كأنهم في اتجاه الشق، كأنهم يدخلون عبره، الرسم صغير الحجم، ويتميز بالدقة.([1])

الموقع ١١,١ ، مقاطعة جورج ، الغربية مقاطعة كيب. (رسم بواسطة F.E. De Villiers.)

ومنظر صخري أخر من مقاطعة جورج، الكاب الغربية. (شكل ٤) تظهر طيور الروح في شكل متراصة في موكب دائري يتبعون بعضهم البعض (دوامة)، عكس اتجاه شكل آدمي بساق واحدة متعرجة يتجه لشق الصخر، وهذه الهيئة مرتبطة بتصوير الشامان في حالة النشوة الروحية، وتظهر طيور الروح، برؤوس أدمية وأطرف أقرب الى شكل ذيل السمك، يظهر ستة منهم – على الاقل–بأذرع آدمية، ويحمل خمسة منهم أدوات صيد (أقواس وحراب، وربما عصى)، المنظر الصخري صغير الحجم، طوله حوالى ٧٠ مم، نفذ باللون الأرجواني ، بخلفية زرقاء.

1)Hollmann, J. C.: 2005, Swift-People': Therianthropes and Bird Symbolism in Hunter-Gatherer Rock-Paintings, Western and Eastern Cape Provinces, South Africa, South African Archaeological Society , VOL. 9, PP. 21–33

شكل (٣): منظر صخرى، الموقع ١٠ من منطقة Ezeljagspoort شرق كيب تاون – جنوب أفريقيا، دوامة الاروح

***المصدر* Hollmann, J. C.: 2005, P. 25**

ثالثا: أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم الروح فى الفكر المصري وفكر البوشمن

عُرفت الروح عند المصري القديم في ثلاث صور: "البا"، "الكا" و "الآخ"، فرمز الى" البا" بأنها روح الإنسان، بينما أشار إلى" الكا" بأنها النْفس، أما " الآخ" فهى النورانية التي تنشأ عند اتحاد البا و الكا في العالم الآخر. و" الكا " هى نْفس الإنسان الفاعلة والملاصقة له و التي تتحكم في سلوكه، لذا فسرتها بعض الدراسات بأنها قرين الإنسان، و"البا" هى العنصر الطليق، حيث صورت في هيئة طائر برأس آدمية، أما " الآخ" فهى النورانية التي يأمل المتوفى في بلوغها (١).

تعتبر نصوص الأهرام للمملكة القديمة أول مصدر نصي لمفهوم البا، فإن البا هو الأكثر وضوحًا في النصوص التي تتناول الحياة الآخرة، تعاملها هذه النصوص على أنها وسيلة لوجود المتوفى بعد وفاته الجسدية وكعنصر من مكونات المتوفى، تمامًا كما هو الحال في حياته، تخبر نصوص الأهرام الآلهة أن المتوفى "هو با بينكم" وتؤكد للمتوفى أن "با في داخلك."في وقت لاحق، خلال الفترة الانتقالية الأولى والدولة الوسطى، يظهر المتوفى على أنه با من آلهة مختلفة، ولكن أيضًا كبا الخاص به ، مع القوى الجسدية لجسم حي(٢).

1) Zabkar, L.V.: 1958, A study of The Ba, the Monistic Conception of Man in ancient Egypt, PHD., The faculty of the Division of the Humanities, Department of Oriental Languages and Literatures, The University of Chicago, P.56
2) Ibid, P.58

اعتقد المصريون القدماء بقوة أن الموت كان في الأساس عملية انتقالية، لقد اعتقدوا أن الروح لا تموت، كانوا يعتقدون أن إله الشمس يعبر السماء في قارب يوميا خلال النهار تشير الممارسات المصرية القديمة الواسعة أثناء التحنيط وفي تقديم الطعام إلى الموتى إلى أنهم يعتقدون أن الجسد سيبعث بعد الموت. على سبيل المثال، ربط المصريون القدماء رحلات الموتى بالظواهر الطبيعية مثل سير الشمس والسماء، وخاصة الدورات الموسمية لوادي النيل المصري. (١) ولعب النيل دورًا كبيرًا في ازدهار مصر. أدى عدم ارتفاع نهر النيل في الوقت أو الموسم المحدد إلى اضطراب في الإيقاع الطبيعي لحياة المصريين. قرب نهاية المملكة القديمة، ارتبط أوزوريس بهذه الدورات الطبيعية، وخاصةً في نهر النيل. الطين الخصب الذي يرمز إلى القيامة. ونتيجة لذلك، أصبح رع وأوزوريس آلهة مصرية مهمة ارتبطت بقيامة الجسد والروح (٢).

يقول النص: "روحك تنتمي إلى السماء عند رع، وجثتك تنتمي إلى الأرض عند أوزيريس، روحك ينبغي أن تستريح على جثتك كل يوم" (الفصل ٨٩ من كتاب برت أم هيرو).

وعمل المصري القديم على تقريب المسافة بين العالم المادي والعالم غير المادي، وتوصف القرابين الجنائزية بأنها تقدم لــ"كا" الشخص المتوفى، أما "البا" فتعبر عن الروح ورسمت فى عصر الدولة الحديثة على شكل طائر له رأس إنسان يرفرف فوق المومياء، وأفضل تعريف لها أنها مظهر خارجي للروح، يبقى بعد الموت وله قوة لتقمص الجسد والخروج منه.

1) Žabkar, L.V.: 1968, A Study of the Ba Concept in Ancient Egyptian Texts (Chicago), 39-40.
2) El-Shahawy, A., The funerary art of ancient Egypt: A bridge to the realm of the hereafter, Cairo, 2005, p. 73.

يعتقد البوشمن، مثل شعب مصر القديمة، أن الموت ليس نهاية الحياة بل الانتقال من مستوى واحد من الوجود المادي إلى مستوى روحي ومتفوق من الوجود. يعتقد البوشمن "البقاء على قيد الحياة بعد الموت ليس موضوعًا للنقاش أو التكهنات. إنها بديهية للحياة. "

بالنسبة إلى للمعتقدات المصرية كان للجسد أهمية في رحلات الحياة الآخرة، وهذا هو سبب تحنيط المصريين للموتى، من أجل إحياء موتاهم. اعتقد المصريون أن كل جثة محنطة قد أعطيت القدرة على النهوض بعد التحنيط، القيمة التي كان المصريون يعطوها للموتى جعلتهم يمجدون الجثث المحنطة غير ان البوشمن لم يعطون للجسد نفس الأهمية، فانه يفنى، أو يتحول الى هيئة آخري، ولا علاقة له بالبعث والخلود، ولا تعود الروح له مطلقا، على اعتبار الروح تحررت منه بالموت.

الجسم مقسم الى أجزاء لكل جزء اسم مختلف.

ويتفق مفهوم الروح في عقائد البوشمن، مع الكثير من جوانب مفهوم الروح في الفكر العقائدي المصري القديم، كما يمكن رصد بعض الاختلافات، من أبرز نقاط الاتفاق:

١) معتقد تقسيم الانسان وتثليث الروح (الكا – البا – أخ)، بينما في عقيدة البوشمن (الجسد – الروح (Gauwa//) والحياة (Toa/). أو Xa).
٢) يتفقا في معتقد الحساب والعقاب بعد الموت، وان حياته الدنيوية هي التي تحدد سعادته من تعاسته في الحياة الأبدية، فاذا كان شخصا سيئا فانه لا يغادر العالم السفلى، ويصبحوا أرواح خبيثة (نايا نايا ء زو !Xu The Nyae Nyae) ، ومخلوقات أقل شأنا من Gauwasi//.
٣) خلود الروح، الروح خالدة لا تفنى مطلقا.
٤) تصوير الروح بهيئة طائر له رأس أدمية.

يختلف مفهوم الروح في الفكر العقائدي للبوشمن عن الفكر العقائدي المصري.

١) ان الروح في الفكر المصري تعود لاتحاد بالجسد، بينما فكر البوشمن الروح تعود لتنفيذ أوامر الاله الأعلى، وخاصة قبض الاروح، ولتتناول الأطعمة التي يمنحها لها الناس، ومساعدة الشامان في إعادة توازن القوى، تمنح الخير أو الشر للأحياء، وتتحكم أحيانا في مصائرهم.

٢) الجسد في عقيدة البوشمن قد يتحول لشكل لهيئة آخرى، وخاصة الهيئة الحيوانية، أو يفنى، بينما حرص المصري القديم على حفظ الجسد، حتى يضمن له إمكانية عودة الروح لجسده مرة ثانية

٣) التعاويذ والتمائم السحرية – فيما كان يسمى نصوص الأهرام في عصر الدولة القديمة – كانت تنقش على جدران المقابر العادية والاهرامات أو على التابوت الحجري أو الخشبي توضع إلى جانب المومياء لتكون دليلا للميت في رحلته للعالم الآخر. حيث كانت هذه التعاويذ بمثابة تعليمات إرشادية تمكن المتوفى من تخطي العقبات والمخاطر التي ستصادفه في أثناء رحلته إلى الحياة الأخرى، وتدله أيضا على الوسائل التي يستخدمها ليتمم هذه الرحلة بنجاح من دون أن يتعرض لأي سوء، بينما تعاويذ البوشمن يتلوها الاحياء لاتقاء شر الأرواح، واسترضائها.

٤) اعتقد البوشمن أن الروح تسكن الجبال، وتستخدم الشقوق لخروج والدخول منها وإليها.

والجدول التالي يوضح أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفهومين (١)

أوجه الشبه والاختلاف	الروح في الفكر العقائدي المصري	الروح في الفكر العقائدي للبوشمن
التصوير	طائر البا	طائر البا
التصنيف	معتقد تثلبث الروح (الكا – البا – أخ)	معتقد تثلبث الروح (الحسد – الروح (Gauwa//) و الحياة (Toa/). أو Xa)،
البعث والحساب في العالم السفلى	ايمان بالبعث والحساب	الايمان بالبعث و بالحساب والمنتحر محكوم عليه بالجحيم دون حساب
الخلود	الروح خالدة	الروح خالدة
التعاويذ	ارشاد الأرواح	تجنب إزاء الروح وصرفها
الجسد	تتحد معه الروح في الحياة الأبدية	يفنى أو يتحول لشكل أخر، هيئة حيوانية على الاغلب
عودة الروح	تتحد مع الجسد	تعود لتنفيذ أوامر الاله الأعلى، و تستجلب لمساعدة الشامان

أما عن كيفية وصول هذا التأثير المصري في عقائد البوشمن أقترح بيرتين Bertin, G(٢) أن البوشمن كانوا مرتبطين بالمصريين الأصليين، معتمدا على بعض المناظر الصخرية في ناميبيا (٣) عملت "العفة العرقية" بين بوشمن على إدامة تميزهم العرقي، واقترح الإبحار بالدوران حول أفريقيا وسيلة لهذا التواصل، وذلك في اطار مناهضته لنظرية ان البوشمن كانوا حلقة تطور بشرى. (٤)، ويعد الإبحار وسيلة قد تبدو مقبولة في تفسير الاتصال المصر بأقصى جنوب القارة، والأكثر واقعية عن فكرة اختراق نطاق الغابات الاستوائية.

---

١) اعداد الباحثة

٢) مبشر إنجليزي، عالم أحياء، كان يناهض نظرية ان البوشمن حلقة تطور بشرى.

٣) للمزيد راجع أسماء عبدالعليم: ٢٠٢٢، لوحة السيدة البيضاء في ناميبيا ومثيلتها بالجزائر (٤٠٠٠ ± ٥٠٠ ق.م) (دراسة مقارنة في الفن الصخري الأفريقي)، مجلة مصريقيا ، كلية البنات، مجلد ٢، عدد١، ص ص ١٨، ٣٩.

4) Gordon, R.J.: 1992, The Making of the "Bushmen" Anthropological, Vol. 34, No. 2 , pp. 183-202; Also, Bertin, G.: 1886, The Bushmen and their Language. Journal of the Royal Asiatic Society (n.s.) VOL. 18,PP. 51-81.

ومن وسائل التواصل أيضا، كانت الصحراء في هذا الوقت تتمتع بمناخ رطب، عكس ما عليها الأن، ودعمت عددًا كبيرًا نسبيًا من السكان المتنقلين، كما حدث خلال موجات هجرة القبائل الناطقة بلغات البانتو – خلال العصر الحديدي المبكر – وان المسارات التي تحركت فيها موجات الهجرة البنتايوية (خريطة ١) كانت معروفة من ذي قبل وهى نفسها المسارات التي عبرها انتقل التأثير المصري لأقصى جنوب القارة الأفريقية. وأغلب هذه المسارات كانت بمحاذاة السواحل الأفريقية، وتتجنب بشكل كبير نطاق الغابات الاستوائية الكثيفة، التي من المحتمل ان تكون كونت عائقا جغرافيا، أمام سكان أفريقيا الأوائل. ([1])

١) (1)الموطن الأصلى للبانتو

٢) (2) مسارات الهجرة الشمالية

٣) (3) الوجه الشرقية

٤) (4) الممر الشمالى

٥) (5-6)المعبر الغربى

٦) (7, 8A, 8B)،المسار الشرقى

٧) (9-10) نواة التفرق المركزية (الكونغو كينشاسا)

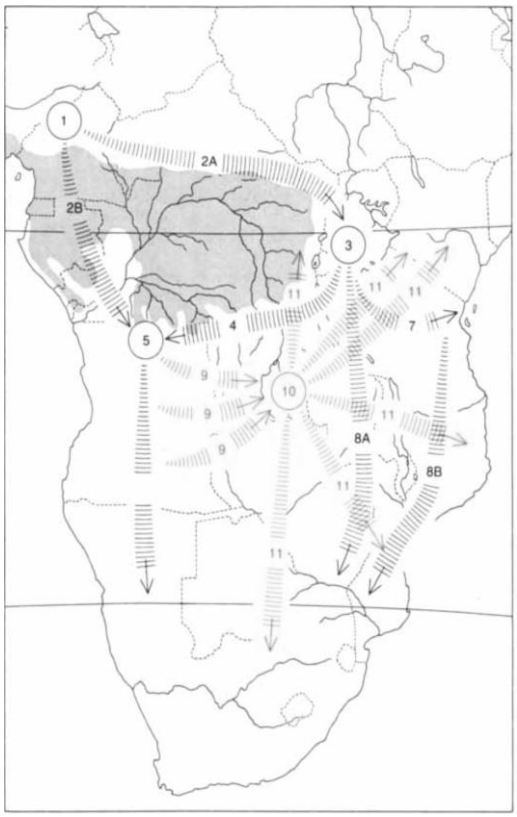

خريطة (١) نقلا عن: Phillipson, D.W.: 1977, P.109

1) Bertin, G.: 1886, OP.CIT, P. 55.

الخاتمة والنتائج

رغم بساطة مفهوم البوشمن لروح، إلا أنه يتفق في كثير من جوانبه مع المفهوم المصري القديم للروح، سواء من حيث الشكل أو المضمون، فمن حيث الشكل، صور البوشمن الروح على جدران الكهوف والملاجئ الصخرية، بهيئة طائر له رأس أدمية، أقرب لهيئة طائر " البا "، أما من حيث المضمون، فقد اتفق البوشمن مع قدماء المصريين، في الايمان بخلود الروح، وتقسيم الروح إلى عدة مكونات.

واختلافا المفهومين في أهمية الجسد، فالجسد عند البوشمن بلا قيمة يفنى بالموت، أو يتحول لهيئة آخري، وأن الروح تحررت منه بالموت، ولا تعود له مطلقا، أما القدماء المصريين فقد أولوا الجسد اهتماما كبيرا، لاستكمال رحلة البعث والخلود.

وهناك عدة اقتراحات، لتفسير الوسائل التي انتقل بها التأثير المصري القديم، لأقصى جنوب القارة الأفريقية، أهمها:

١) الدوران حول أفريقيا.
٢) مسارات الهجرة البانتوية .

المراجع

1) Bertin, G.: 1886, The Bushmen and their Language. Journal of the Royal Asiatic Society (n.s.) VOL. 18,PP. 51-81.
2) Bleek, W. H. I. & Lloyd , C. C.: 1911, Specimens of Bushmen folklore. London: George Allen, P.5Challis, S., Hollmann, J. & McGranaghan, M.: 2013, 'Rain snakes' from the Senqu River: new light on Qing's commentary on San rock art from Sehonghong, Lesotho, Azania: Archaeological Research in Africa, 1-24.
3) El-Shahawy, A.: 2005The funerary art of ancient Egypt: A bridge to the realm of the hereafter, Cairo, p. 73.
4) Gordon, R.J.: 1992, The Making of the "Bushmen" Anthropological, Vol. 34, No. 2 , pp. 183-202
5) Heinz, H.J.: 1975, Elements of !ko Bushmen Religious Beliefs , Anthropos, VOl.70, NO.2, P. 23, pp. 17-41
6) Hollman, J. C.: 2007, "The Sky's Things", |xam Bushman 'Astrological Mythology' as recorded in the Bleek and Lloyd Manuscripts, African Sky, VOL. 11, p.8
7) Hollman, J. C.: 2005, Swift-People': Therianthropes and Bird Symbolism in Hunter-Gatherer Rock-Paintings, Western and Eastern Cape Provinces, South Africa, South African Archaeological Society , VOL. 9, PP. 21–33
8) Jansen, C. G.: 1966, Some observations about ritual m mutilation in a Transkei mission hospital, with special reference to the ingqith l custom, African Studies, VOL. 25, NO.2, pp. 73-79.

9) Lewis-Williams, J.D. & Dowson, T.A.: 1990. Through the veil: San rock paintings and the rock face. South African Archaeological Bulletin 45 :5-16.

10) _____: 1980, Ethnography and Iconography: Aspects of Southern San Thought and Art, Man, P. 474

11) Marshall, L.: 1962, Kung Bushmen religious beliefs, Africa, Vol. 32, pp. 241—244.

12) McGranaghan, M., Challis S. & Lewis-Williams, D.J.: 2013, Joseph Millerd Orpen's 'A Glimpse into the Mythology of the Maluti Bushmen': a contextual introduction and republished text, Southern African Humanities, Vol. 25, PP. 137–66

13) Schapera, I.:1933, The Khoisan peoples of South Africa. London: George Routledge & Sons Ltd., p. 166.

14) van der Westhuizen , P. J. W .S. : Life After Death " Amongst the Bushmen, (PP. 42-46) in https://journals.co.za › doi › pdf

15) Phillipson, D.W.: 1977, The Spread of the Bantu Language , Scientific American , April 1977, Vol. 236, No. 4, pp. 106-115

16) Zabkar, L.V.: 1958, A study of The Ba, the Monistic Conception of Man in ancient Egypt, PHD., The faculty of the Division of the Humanities, Department of Oriental Languages and Literatures, The University of Chicago.

17) Zabkar, L.V.: 1968, A Study of the Ba Concept in Ancient Egyptian Texts (Chicago), 39-40.